مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تكتيك حروب الكر والفر في معارك قادة المقاومات الشعبية المغاربية "ابن مجي الدين الجزائري-وابن عبد الكريم المغربي"

The tactic of hit-and-run wars in the battles of the leaders of the Maghreb people's resistance: Ibn Muhyiddin al Jazaery And ibn Abd-alkarim al Maghribi.

اسم ولقب المؤلف المرسل: مرج حنان- Hanane merdj صص392-414
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه ل.م.د- قسم التاريخ- كلية العوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة محمد خيضر- بسكرة- الجزائر/البريد الإلكتروني: hanen.merdje@univ-biskra.dz
اسم ولقب المؤلف الثاني: بلقاسم ميسوم- Belkacem Missoum
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- قسم التاريخ- كلية العوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة محمد خيضر- بسكرة- الجزائر/البريد الإلكتروني: b.missoum@univ-biskra.dz

تاريخ استقبال المقال:2020/12/16 تاريخ المراجعة:2021/01/06 تاريخ القبول: 2021/03/05

الملخص: بعد العجز السياسي والضعف العسكري الذي ساد المنطقة المغاربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، فُتح الباب واسعا أمام الدول الأوروبية لاستعمارها، وقد كان لفرنسا حصة الأسد في المنطقة بعد إبرامها عدة معاهدات دولية مع نظيراتها من الإمبراطوريات الاستعمارية في تلك الفترة، وما إن وطأت الجيوش الاستعمارية المنطقة حتى هبّ الشعب لمقاومتها معلنا الرفض التام لأي شكل من أشكال التسوية.

وما يميز المقاومات الشعبية المغاربية أنها قامت تحت لواء الجهاد، وبقيادة شخصيات دينية بالدرجة الأولى، استطاعت أن تقنع الشعب أنه بالإمكان خوض معركة التحرير ضد المستعمر، بإمكانيات محدودة؛ بل وتحقيق النصر أيضا، لكن كان على قادة هذه المقاومات اتباع أساليب عسكرية مغايرة تعتمد على المعارك الصغيرة، وعلى أسلوب الكرّ والفرّ في بادئ الأمر حتى يتسنى لها تحقيق الهدف من الهجوم بأقل الخسائر، وتجنب المواجهة المباشرة.

ويكمن الهدف من البحث تبيان مدى نجاعة أسلوب الحرب الصغيرة في تشتيت العدو، وبثّ الرعب في نفوس أفراد جيشه كبداية أولية للنصر، وكذا معرفة الطرق التي انتهجتها المقاومة المغاربية في تطبيق هذا الأسلوب، وبالأخص مقاومة الأمير عبد القادر

ومحمد بن عبد الكريم الخطابي، حيث توصلنا في هذا البحث إلى أن تطبيق مثل هذه الأساليب أفاد كثيرا زعماء المقاومات المغاربية في تحقيق النصر بأقل عدد وعدة، ومكّنهم بجيش صغير من مواجهة جيوش منظمة ومدربة، وإلحاق خسائر كبيرة بها.

الكلمات المفتاحية: عبد القادر؛ ابن عبد الكريم؛ تكتيك؛ حرب العصابات؛ الحروب الصغيرة.

Abstract: *After the political impotence and military weakness that prevailed in the Maghreb during the nineteenth and twentieth centuries, the door was opened wide for European countries to colonize them. France had the luck of the lion in the region after it concluded several international treaties with its counterparts from the colonial empires in that period, and since colonial armies set foot in the region. Even the people rose up to resist them, declaring their total rejection of any form of compromise.*

What distinguishes the popular Maghreb resistance is that it was launched under the banner of jihad, and led by religious figures in the first place, who were able to convince the people that it is possible to fight the battle of liberation against the colonialists, with limited capabilities and even achieve victory, but the leaders of these resistance had to follow different military methods that depend on small battles And the hit-and-run method at the beginning in order for it to achieve the goal of the attack, with minimal losses and to avoid direct confrontation.

The aim of the research is to show the effectiveness of the small war method in dispersing the enemy and spreading terror in the hearts of the members of his army, as a preliminary start to victory, as well as knowing the methods that the Maghreb resistance took in applying this method, especially the resistance of Prince Abdelkader and Muhammad Ibn Abdel Karim Al-Khattabi, as we reached this point. The research showed that the application of such methods greatly benefited the leaders of the Maghreb resistance in achieving victory with the least number and number, and enabled them with a small army to confront organized and trained armies and inflict heavy losses on them.

Keywords: Abdelkader; Ibn Abdel Karim; tactics; guerrilla warfare; Small wars.

مقدمة: سمح الموقع الإستراتيجي لبلاد المغرب، والمطل على كبرى المسطحات المائية النشطة، بفكرة التنافس الاستعماري على المنطقة، بل واستغلت هذه القوى الدولية الوضع المزري لهذه الدول، وقامت بتجزئتها إلى محميات ومستعمرات تقاسمتها وفقا لمعاهدات دولية.

ولأن الكيانات الاستعمارية الدخيلة على المنطقة كرست القضاء النهائي على كيان الدولة الأصلي وكل مقاوماته، نتج عنه التشرد والفقر، ونهب الثروات، وطمس الهوية الثقافية والدينية للشعوب، كان رد فعل هذه الشعوب عنيف وفوري في شكل مقاومات شعبية قادتها شخصيات حملت لواء الجهاد في سبيل الحرية، ممن اشتهروا بمناهضة الاستعمار، وذوي خبرات سياسية وعسكرية أهلتهم لقيادة أمة.

إشكالية الدراسة: إلى أي مدى كان زعماء المقاومات المغاربية واعيين بأهمية انتهاج أسلوب عسكري مُغاير عن الحرب التقليدية، لتحقيق أهداف من المستحيل أن تحقق بالمواجهة المباشرة؟ وهل كان التكوين العسكري لهؤلاء القادة يسمح بتطبيق هكذا تكتيك بالاعتماد على المعطيات الجغرافية والبشرية المتوفرة؟ وكيف طبقت بالفعل على أرض الواقع؟

فرضيات الدراسة: بعد نهضة شعوب المستعمرات، وانتهاجها للمقاومة العسكرية المسلحة كوسيلة لرد الاستعمار، ولأن الإمكانية العسكرية لهذه الشعوب لا تسمح بمواجهة جيوش مدربة ومنظمة ومجهزة، يدفعنا هذا إلى محاولة اختبار فرضيتين هما:

- إن الحل الوحيد لقادة الثورات الشعبية لمواجهة هكذا جيوش، بالإمكانيات المتاحة كان بالاعتماد على أسلوب الحرب الخاطفة، كون جيش المقاومة هو في الأصل عبارة عن وحدات قتالية صغيرة نسبيا مدعمة بتسليح أقل عددا وعدة، وهروبا من المواجهة المباشرة ذات النتيجة المحسومة مسبقا.

- لقد أثبتت حرب العصابات نجاعتها فعليا في أرض المعركة، فنموذج تاكفاريناس ومقاومته للاحتلال الروماني، ونموذج الحرب التحريرية الإسبانية ضد نابليون بونابرت، ونمط الحرب الخاطفة الذي ظهر في ثورة الفاتح من نوفمبر بالجزائر، كلها أثبتت إيجابية هكذا تكتيك في ظل شح العدة والعتاد لدى الجيوش الصغيرة.

حدود الدراسة: ترتبط هذه الدراسة من حيث مجالها الجغرافي بمنطقة المغرب العربي كونه وحدة متصلة جغرافيا وتاريخيا، فقد تزامن الاحتلال في كامل أقطاره وبالأخص الجزائر والمغرب، وفي إطارها التاريخي؛ فكان لظهور المقاومات الشعبية ارتباط وثيق، وحتى أنها أثرت وتأثرت ببعضها.

منهج الدراسة: استخدمنا في هذه الدراسة كلا من المنهج التاريخي الإسترادي لتوظيف بعض الحقائق التاريخية ومعاينتها، وكذا منهج دراسة الحالة لدراسة شخصيتي عبد القادر بن محي الدين ومحمد بن عبد الكريم الخطابي كونهما محوري الموضوع.

أهداف الدراسة: نهدف من هذه الدراسة إلى معرفة الأثر الذي خلفته خبرة الأمير العسكرية في نفوس مقاتليه حتى جعلهم يثقون بإمكانية هزيمة إحدى الإمبراطوريات الاستعمارية الكبرى في العالم بإمكانيات بسيطة ومحدودة، مع معرفة الطرق التي وظفت فيها هكذا إستراتيجية جعلت من البيئة الجغرافية أحد أسباب نجاحها، وكذا قدرة ابن عبد الكريم الخطابي على أن يتحصل على لقب أمير الريف، وتمكنه من مقاومة مزدوجة لاحتلال ثنائي بالاعتماد على الحرب الخاطفة.

1- ماهية الحرب:

1.1 مفهوم الحرب في العلوم العسكرية: تعتبر الماركسية اللينينية الحرب ظاهرة اجتماعية تاريخية تتولد بالوصول إلى درجة معينة من نمو وتطور المجتمع الطبقي، وهي ظاهرة اجتماعية في غاية التعقيد لا تفهم إلا إذا استخدم الأسلوب العلمي[1].

- يشكل التخريب في عمل العصابات المسلحة شكلا من أشكال الحروب القديمة، فهو يمارس منذ وجود الدول، وبالتالي فهي ظاهرة عمرها قرون[2].

- إن الحرب بمعناها العام هي استخدام الأسلحة المادية والقوة في نزاع ما، وهو الاستمرار للسياسات بوسائل متعددة في صراع جماعي[3].

يرى قاموس"ويبستر" أن الحرب حالة من النزاعات المسلحة بين مجموعات سياسية وخلافات بين قوى عقلية، أو مادية أو اجتماعية أو غير ذلك، ويقول "ليدل هارت" أن الحرب هي السياسة خلال التنفيذ[4].

2.1 الحرب في الإسلام: إن الحرب في الإسلام هي الجهاد، والمأخوذة لغة من بذل الجهد أي الوسع والطاقة؛ فهو استفراغ الوسع في مدافعة العدو.

الجهاد في الإسلام يلجأ إليه عند وجود مقاتلة من عدو؛ فيكون باعث الجهاد رد العدوان، والحفاظ على جموع المسلمين، ومبادءة العدو بالقتال لإعلاء كلمة الله بإزاحة من يقفون عقبة في سبيل الدعوة الإسلامية[5].

ويمكن القول إن الإستراتيجية العسكرية في الإسلام مصدرها العقيدة الإسلامية، وأن الردع من أوائل الخصائص الإستراتيجية الذي استعمله القادة في حروبهم ضد العدو[6].

والعقيدة الإسلامية هي التي وردت تفاصيلها في القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي، وهي مبادئ طبقها المسلمون الأولون على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام[7]، والحرب في الإسلام ترتبط بصفة خاصة بأحكام مستمدة من الأصول، ولا سبيل لتجاوزها، وتدور حول تأكيد هذين العنصرين اللذين وردا في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجنده الذين وجههم إلى أهل فارس حيث قال: "لا تمثيل عند القدرة، ولا إسراف عند الظهور"، وهو نهي يدل على رفض كل مظاهر التخريب والفساد، وهي قاعدة ثابتة نصت عليها المصادر الأصولية في الإسلام[8].

فالحرب في الشريعة الإسلامية تمثل حالة الضرورة لدفع العدوان الواقع أو الوشيك، لصد العدوان والاطمئنان من جانب العدو الذي اعتدى على النفس والديار والأموال، وكذا حرية الدين، وفتن المسلمين عن دينهم[9].

2- الاستراتيجية العسكرية:

1.2 مفهوم الاستراتيجية العسكرية: إن استخدام كل من كلمة إستراتيجية وتكتيك فضفاض، وكثيرا ما تستخدمان في غير مكانهما؛ فيخلط بين الهدف والإستراتيجية، أو بين الإستراتيجية والتكتيك[10].

- يشتمل فن الحرب على ثلاثة أقسام رئيسة: الإستراتيجية العسكرية، وفن العمليات، والتكتيك، وبينها علاقة تكاملية، وارتباط وثيق لتحقيق الغاية من الحرب، وتحتل الإستراتيجية المكانة الأعلى في فن الحرب، ولها ارتباط وثيق بالسياسة، وتؤثر في تطوير فن العمليات والتكتيك، وهذا الأخير هو الأدنى من فن الحرب، ويتناول كل ما يتصل بقتال الوحدات والقطاعات والتشكيلات، أما فن العمليات فهو الوسط بينهما، ويهتم بالإعداد للعمليات الحربية بما يتفق والأهداف المسطرة، والمهمات المحددة من قبل الإستراتيجية[11].

والإستراتيجية مصطلح عسكري مشتق من كلمة يونانية هي "Strategos"، وتعني فن قيادة القوات، وقد تطور المصطلح عسكريا فأصبح يعني نظرية إستخدام المعارك كوسيلة لتحقيق هدف الحرب[12]، واستخدم المصطلح في القرن الخامس ق.م، ولم يعاود الظهور

حتى عصر التنوير[13]، أما كلمة تكتيك فيرجع إلى جذور يوناني أيضا "Tasso"، ومعناه يُعالج أو يُدبّر[14].

2.2 خصائص الاستراتيجية العسكرية: تنقسيم الإستراتيجية بحد ذاتها إلى استراتيجية عسكرية وسياسية واقتصادية، واستراتيجية نفسية اجتماعية ثقافية[15].

الإستراتيجية ليست محصورة بمجال من المجالات دون آخر؛ إذ أن كل مجال يوضع له هدف يتوجب الوصول إليه، وترسم من أجله استراتيجية لتحقيقه[16]، ولبدء وضع الإستراتيجية لابد من عناصر[17]:

- وجود أهداف كلية عامة يستوجب تنفيذها مهما كانت المعيقات والموانع.
- توفر خطة بعيدة المدى تعتمد على توظيف كل الإمكانيات المتاحة: المالية والعلمية والبشرية والعتادية لتحقيق الأهداف المسطرة.
- علم وفن وضع الخطة، سليمة علميا وفيها نوع من الابتكار والمرونة والجدة، مع الإطلاع الواسع على التجارب السابقة المماثلة لها.
- التحصل على معلومات واسعة بعد الدراسة عن الثورة الثقافية، والتي تكشف عن أبعاد الصراع التي وضعت من أجله الخطة الإستراتيجية.
- الحصول على مجموعة عمل تنفيذية قادرة على مواصلة المسيرة رغم الظروف المفاجئة، وعليها أن تلتزم بنظم وعقيدة محددة ورؤية واضحة للهدف المسطر.
- قيادة راشدة وحكيمة، سريعة التنفيذ، وتكون في مستوى الصراع، وتعتمد على فريق عمل أو بطانة مساعدة.
- ويمكن تمييز عدة قوانين للإستراتيجية المباشرة وغير المباشرة، فقد ميز كلاوزيفتز ثلاثة قوانين للإستراتيجية المباشرة هي[18]:
- تركيز الجهد.
- العمل بقوة ضد القوات الرئيسة للعدو، مع تحقيق نصر في المعركة وفي مسرح العمليات الرئيسي.
- إمكانية أن يكون التكتيك دفاعي أو هجومي.

وحتى نفهم الإستراتيجية غير المباشرة فهما دقيقا لابد من معرفة أنها غير خالية من القتال، وتحوي نوعين: نوع مادي يستهدف القوات المعادية، ونوع معنوي يوجه إلى مركز تفكير هذه القوات وجهازها العصبي لشله عن التفكير والتخطيط السليم.

وكان ليدل هارت قد وضع عدة قوانين للإستراتيجية التي تتبع طرقا غير مباشرة هي:

- تعظيم القدرات العسكرية من خلال إبرام التحالفات.
- إجبار العدو على تفريق قواته بطرق غير مباشرة.
- إعتماد أسلوب المفاجأة بأساليب غير متوقعة من العدو.
- توجيه ضربات في نقاط ضعف العدو.
- العمل في مسح ثانوي إن أمكن.

3- ماهية حرب العصابات (حرب الكرّ والفرّ):

1.3 مفهوم حرب العصابات: تعتبر حرب العصابات من الناحية الإستراتجية جزء مُكملا لحرب الحركة أو الحرب النظامية التي يمارسها الجيش النظامي ضمن إطار حرب التحرير[19].

- يُعرّفها تشي جيفار بأنها مرحلة من مراحل الحروب التقليدية، ويجب أن تسير بكل قوانينها، ولكن باعتبار وجهها الخاص فإنها تتضمن قوانين خاصة يجب أن تخضع لها، وإن ممارسة حرب العصابات سبقت بوقت طويل استخدام المصطلح، إذ دخل المصطلح في الاستعمال أثناء كفاح نابليون ضد الأسبان[20].
- وهي تقنية عسكرية يستخدمها الطرف الأضعف لمواجهة القوى النظامية هروبا من المواجهة المباشرة حتى يتمكن من الانتصار على الخصم[21].
- التسمية الأجنبية لحرب العصابات "حرب غيريلا"(Guerre de guerilla)؛ فهو من أصل إسباني، ويعني الحروب الصغيرة، وحرب العصابات ظاهرة معقدة يصعب تعميمها لكنها تعرف قوانين وشروط تحدد في حيز كبير فشلها أو نجاحها[22].

وتتكون عادة من طلعات متفرقة غير منظمة، وغارات كرّ وفرّ، والكمائن إما للنهب أو الانتقام من بعض المظالم، ثم تطورت في مجموعات اجتماعية قبلية صغيرة ليس لها القدرة على بذل مجهود متواصل في الحروب طويلة الأمد، ونطاق الحركة فيها مقيد تماما، وفي البداية لم تكن القضايا الإيديولوجية متورطة بالتاكيد[23].

والحرب العصابية هي حرب التحرير، أو الحرب التي لا تعتمد على الجندي النظامي، بل على الجماهير، وعلى هذا فحرب التحرير تستعمل أحيانا بدل guerilla، ويلاحظ ذلك بصفة خاصة في وصف حروب الثورة الروسية، وفي الحرب اليابانية الصينية، ولكن لن نجد حرب عصابات تواجه قوات عصابات أخرى، بل ضد جند نظاميين[24].

2.3 تكتك الحرب الخاطفة (العصابات): التكتيك هو استخدام القوات العسكرية في المعركة، وفن قيادتها، وهو مجموعة الوسائل التي يسعى من خلالها إلى إنزال الهزيمة بالعدو في المعركة[25]؛ فهو يرتكز على التقنية والتكنولوجيا بشكل غير مباشر، لأن الوصول إلى الحد الأقصى في استعمال الأسلحة لا يكون إلا بالعلوم التقنية، والمهارة في التعامل مع التكنولوجيا الحربية الحديثة[26].

ولأن استراتيجية حرب العصابة دفاعية؛ فان تكتيكها هجومي، ولأن هناك اختلال في ميزان القوى ضد مصلحة العصابات على المستوى الاستراتيجي فإنها تسعى لتامين التفوق على المستوى التعبوي التكتيكي[27].

- وفي حرب العصابات العادية يتخذ التطور مجرى التحرر الوطني أو الاجتماعي والوطني معا، وتخص المعارك الصغيرة والكبيرة بالسلاح الخفيف، وقد تتجزأ حرب العصابات السرية تجزئة كبيرة من مرحلة التحرر الوطني، بينما لا تنجز سويا بعض الإصلاحات الاجتماعية، والتي لم تكون بمستوى إنجاز التحرر الوطني[28].

وعلى حرب العصابات أن تضمن توفر عدة شروط لضمان نجاحها: توظيف الطبيعة الاجتماعية والجغرافية لصالحهم، وأن يجندوا الشعب لصالحهم، والعمل على إيجاد دعم خارجي، والاعتماد على الخداع والمفاجأة والعمل الليلي، واستغلال التضاريس الجغرافية الصعبة[29].

وما دام مقاتلو العصابات يعملون في قسمهم الخاص من إقليم بلادهم وأوديتهم، داخل مدنهم وقراهم، فكانت أولى الحاجيات أن يعرف المحارب إقليمه بالليل والنهار، مع توقع كل الاحتمالات، و كشف مواقع الملاحظة الجيدة، مع العلم باتجاه أي طريق[30].

في عالم الحرب العسكرية، يكون العدو الأشد خطرا هو المهاجم المباغت الذي لا يمكن التنبؤ بسلوكه، ويمكن أن يكون له تأثير لا يتناسب مع جهوده[31].

إن المفاجأة روح كل عمل عسكري، وهي الوجه الآخر للحيطة والأمان، أو القطب المعاكس له، فتؤثر بشكل مباشر على معنويات العدو، وتضعضع تماسكه وتوازنه، ويشيع الاضطراب في صفوفه، وتربك عمله، وتشل طاقاته العقلية[32].

يعتمد مقاتلو حرب العصابات على السرعة الخاطفة في إصابة الهدف، أو ما يسمى "ضربة الشبح" قبل أن يكون المدافع قادرا على الاستجابة، كما يعتبر الدعم الشعبي في منطقة العمليات أمرا في غاية الأهمية يتحكم في نجاحها، حتى لو لم يكن المقاتلون يختبئون بين المدنيين فإن رجال حرب العصابات يعتمدون على السكان المحليين من أجل توفير المعلومات الإستخباراتية، والدعم اللوجيستي والاستبدال[33].

على رجال حرب العصابات أن يضمنوا تحريض الجماهير، واستشارتهم وتأليبهم على العدو، مع العمل في نفس الوقت على تنظيم منظمات مقاومة العدو ومنظمات الخلاص الوطني، وأشكال أخرى من المنظمات المحترفة، وذلك بهدف تيسير مهمة نقل الأوامر بغرض إخلاء القرى عند الضرورة، أو القضاء على الخونة والعملاء، ومنع العدو من توظيفهم لخدمة مصالحهم[34]، وبالرجوع إلى ماو تسي تونغ فإن القدرة على الفرار هي من مزايا حرب العصابات[35].

ويرى ماو أن لحرب العصابات صفات لا توجد في الوحدات التقليدية، وتتمثل في سرعة الانتشار والإدبار، وسرعة الفرار، وعامل المفاجأة والمرونة في اتخاذ القرارات، والقدرة على التمويه، وصرح أيضا أن استراتيجيته في الحرب العصابية تقوم على مواجهة واحد ضد عشرة، أما تكتيكيا فهو مواجهة عشرة ضد واحد[36].

وهي حرب العصابات التي توجه ضد مؤخرة العدو، وأن توضع تحت قيادة القائد الأعلى لمسرح العمليات من أجل الوصول إلى النتائج الأساسية المرجوة؛ فالأعمال المستقلة قد تؤخر أو تمنع الوصول للهدف الرئيسي، وهو هزيمة العدو[37].

وأي نوع من الحرب يحتاج إلى عنصر رئيسي بها وهو الجاسوس، والذي يعتبر عاملا مهما في نجاح أي حرب، ومنها حرب العصابات[38].

وغالبا ما يعتمد في تكتيك حرب العصابات على عدة خطط منها:

1- **الدعاية المسلحة**: وتكون في مرحلة التحضير، من أجل دفع مستوى الوعي الديني والوطني للسكان قصد بناء الحرب العسكرية، وإثر ذلك يتم القيام ببعض العنف القتالي، كمعاقبة الخونة أو العملاء الأكثر رجعية[39].

2- **حرب المدن والمباني**: والهدف منها إغراق العدو في جيش من الجماهير المسلحة بغضّ النظر عن سنها أو جنسها من أجل تكبيده خسائر بشرية ومادية متلاحقة[40].

ويتطلب هنا الزحف على الأهداف بحذر وصمت، بفئات مؤلفة من عناصر قليلة وفي اتجاهات مختلفة، تنقض سريعا ثم تختفي، لتجتمع فيما بعد في مكان متفق عليه مسبقا[41].

3- **الحرب المتحركة**: حيث تجبر العدو على خوض معارك معزولة ومتفرقة من خلال تطوير القتال إلى وحدات صغيرة جدا، وموزعة على أكبر نطاق[42].

- كما ترتكز خطة هذه الحرب على اليقظة وسرعة الحركة والهجوم، مع ضرورة التكيف مع العدو، والطبيعة الجغرافية للموقع، وكذا خطوط المواصلات القائمة، والوضع في الحسبان ميزة تناسب القوى، والطقس ووضعية الشعب[43]، ومن الأنسب مهاجمة العدو أثناء تحركه، حتى يكون في حالة عدم تهيء للدفاع أو التحصن، في المناطق الصالحة لحرب العصابات[44].

4- **حرب الحصار والتدمير**: حيث يتوجه بالهجوم المضاد العام، حيث تكون قوات العصابات قد وصلت إلى درجة عالية من المركزية والنظامية، وتتخللها درجة عالية من التنسيق[45].

- والتطويق عمل متطور للالتفاف المزدوج يتطلب وجود قوات متفرقة ومتفوقة جدا، يُدمّر العدو ولكنه يحتاج إلى تنسيق جيد، واتصالات ذات كفاءة عالية[46].

- فقد كان المبدأ الأساسي في التكتيك الإستراتيجي الألماني تطويق العدو، وإثارة الرعب في مؤخرته متحاشيا قدر الإمكان كل ما يورطه، ويدفعه للدخول في معركة من الطراز القديم[47].

5- **حرب المواقع**: وهدفها إلحاق الخسائر الممكنة بالعدو ومنشآته، دون الاحتفاظ بالأرض، وتسند للوحدات الأفضل خبرة والأحسن تسليحا[48]، ويتوجب في هذا معرفة مناطق العمل بدقة وإتقان، للاستطلاع والتصرف والفرار والتموين[49].

4- الأمير عبد القادر "مخطط حروب الكرّ والفرّ":

1.4 الأمير عبد القادر "قائد حروب الكر والفر": لقد أعلن الأمير عبد القادر حربا شاملة على الاستعمار الفرنسي، وأقام عليهم حرب أرض وميدان، وبرع في أسلوب حرب العصابات، وأرعب الحكام الفرنسيين مما جعلهم يطلبون المدد والعتاد لحرب الأمير، وبعد مرور ثماني سنوات من الحرب أيقنت فرنسا بقوة المقاومة التي منعتها من الانتشار السريع في الجزائر[50]، واضطر بيجو إلى عقد الهدنة معه.

- بدأت سلطة الأمير تتسع حتى عمت ثلثي البلاد، ولا سيما منذ أن انعقدت بينه وبين السلطة الفرنسية معاهدة التافنة الشهيرة في 30-05-1837، إلى ما بعد هذا التاريخ، وفي أثناء هذه الفترة الزمنية تفرغ الأمير لتنظيم شؤون دولته الناشئة؛ معتنيا بتدبير أحوال البلاد والعباد، سياسيا وإدريا واجتماعيا واقتصاديا وحربيا[51].

- سارع الأمير عبد القادر إلى تأسيس جيش نظامي، مطورا استراتجية عسكرية، منتهجا أسلوب حرب العصابات التي أصبح يتقنها إتقانا كبيرا، حيث كان يفاجئ ويربك الخصم، وأضحى لامعا في هذا النوع من الحرب، وهو بذلك سبق أمير الريف عبد الكريم الخطابي بالمغرب، والشيخ عمر المختار بليبيا، واقتدى به الكثير من رواد حركات التحرر الذين جاؤوا من بعده[52].

لقد عرف الأمير عبد القادر كيف يستفيد من طبيعة بلاده وموقعها الإستراتيجي، فجعل من أرضها الوعرة ومسالكها الضيقة العديدة والمتشعبة مكانا لمفاجأة أعدائه، وكانت مبادئه القتالية أقرب إلى أسلوب الكرّ والفرّ منها إلى الخطط المدروسة في مدارس الأركان، واستفاد من القوى قليلة العدد سريعة الحركة أكثر من الجيوش الضخمة الجرارة[53].

- استبدل الأمير عبد القادر القلم بالسيف، وأبرزت المعارك التي خاضها عبقريته وشجاعته، والتي رشحته للقيادة[54].

- تمتاز مقاومة الأمير بمفهومها الواسع وأبعادها المستقبلة، لأنها لم تقتصر على تعبئة المواطنين لرد العدوان الفرنسي، ولا على المناورات والمناوشات بين الحين والآخر، بل وسع مجال عملياته، ولم يعتمد على ميدان القتال فقط، ولكنه ناور في الإدارة والثقافة والتكوين العقائدي والعسكري والصحي...؛ فأثبت براعة وحنكة وشهامة كبرى[55].

- لم تكن خبرة الأمير الحربية بالمستوى العالي؛ فهو ابن طريقة صوفية؛ حيث تكوّن في أسرة مسلمة على أساس أن يقوم بالتدريس والأعمال الصالحة خدمة للفقراء والمساكين، ولم

يفكر مطلقا أن يكون قائدا حربيا، لكنه صار فعلا رائدا في الجهاد إلى درجة أنه نال إعجاب مواطنيه، وأبرز الشخصيات الأجنبية اعترفت به بما فيهم المارشال سولت الذي اعتبره "أعظم شخصية في زمانه مع نابليون"، وقال عنه بيجو: "إنه رجل عبقري"[56].

- كما ارتكزت استراتيجية الأمير العسكرية على بعد الرؤية؛ حيث حرص على معرفة عدوه، ودراسة إمكانياته بطريقة علمية، وأمام نجاعة أسلوب حرب العصابات الذي طبقه الأمير عبد القادر استخدم الجنرال بيجو ضده نفس الأسلوب، ولكن دون جدوى؛ فلجأ إلى سياسة الأرض المحروقة[56]، غير أن الأمير اعتمد إستراتيجية كفاحية شاملة ذات ارتباط وثيق بالمعطيات الجغرافية والاقتصادية. معتمدا أسلوب الكر والفر، وأسلوب حرب الكمائن، وحقق في ذلك نجاحات كبيرة في الغرب الجزائري طوال خمسة عشر عاما[57].

بين سنتي 1832-1837 ظل فيها التفوق العسكري والمبادرة الهجومية لصالح الأمير عبد القادر، وخلالها استولى على تلمسان والمدية وملیانة ،وحاول تحرير وهران ومستغانم وأرزيو، ومع توالي انتصارات الأمير عقد الجنرال ديميشال حاكم وهران معاهدة معه في 28 فبراير 1834، وتم فيها الاعتراف بسلطة الأمير على كامل البلاد مقابل إقراره بسلطة فرنسا على مدن مستغانم والجزائر ووهران، كما عقد بيجو معه معاهدة التافنة في 30 ماي 1837، وبموجبها توقفت الحرب بين الطرفين فترة، واعترف كل منهما بمناطق نفوذ الآخر، وتبادلا القناصل، واستغلها الأمير لتنظيم دولته وتعزيز جيشه[58].

لم يستطع الأمير عبد القادر في غالب الأحيان مجابهة العدو نظرا لتفوقه عددا وعدة؛ فاستعمل حرب العصابات والمناوشات، ووضع الكمائن، والهجوم السريع والخاطف، والتنقل الدائم لتضليل العدو، والتحايل عليه واستنزافه، كما ساعدت جغرافية الأرض التي تمتاز بها البلاد على المناورة كلما تغيرت إستراتيجية العدو[59].

- وقد خاطب الأمير أفراد جيشه قائلا: "لا تحاربوا الفرنسي في جمع كبير، بل الاقتصار على مضايقتهم ومطاردة أجنحتهم، وقطع اتصالاتهم، والوقوع على معداتهم ووسائل نقلهم، والتراجع الخادع، ونصب الكمائن، والهجوم المفاجئ لإذاعة الارتباك والحيرة والدهشة فيهم[60].

كتب الجنرال بيجو يصف الخبرة العسكرية للأمير عبد القادر في ممارسته لحرب العصابات يقول: "على المرء أن يكون ساحرا حتى يتمكن من التنبؤ بتحركاته، وأن تكون لنا

أجنحة حتى نلحق به؛ فهو يتحرّك إلى أين لن نكون موجودين، حيث تكمن قوته في عدم قدرتنا على العثور عليه في مساحة الأرض وحرارة الشمس في إفريقيا، وفي انعدام الماء وحياة الترحال، ولا بدّ من القضاء عليه[61].

ويقول عنه الجنرال غابريال إسكير (Gabriel Esquer): "كانت قوته الحقيقية في سرعة حركته بحيث تعجز قواتنا على أن تظفر به في حالة لا يكون هو فيها مستعدا للقاء، وكانت قوته أيضا في شخصيته المطوّعة الأصيلة التي لا يقهر بها ولا يغلب، والتي يرد بها الضربة على العدو بسرعة مدهشة[62].

لقد استطاع الأمير أن يقف في وجه فرنسا مدة 15 عاما، وتمكن في الوقت نفسه أن يُكوّن دولة ناهضة، فكان يبني ويهدم في آن واحد، واستطاع ولمدة طويلة أن يهزم بجيشه الصغير وإمكانياته المحدودة أعظم دولة في عهده[63].

إن المجاهد الجزائري كان متفوقا معنويا، ويملك حسًّا وطنيا وخبرة في الأشكال النضالية من المجابهة النظامية المسلحة إلى اعتماد حرب العصابات؛ فالخبرة النضالية والقناعة الوطنية سمحت للمقاومة الجزائرية بأن تستمر لسنوات طويلة رغم الإمكانيات المحدودة في العدد والعدّة[64].

لقد اهتم الأمير عبد القادر بتدريب جنده على أساليب القتال، واهتم بتنشئتهم العسكرية، وعلّمهم مبادئها، واستقدم لهذه الغاية مدرسيهم من تونس وليبيا، وألحق بقواته مجموعة من الفارين الفرنسيين الذين درسوا الخطط ونفذوها ضمن الجيش الفرنسي، وفرض الأمير على جنوده طاعة معلميهم الذين أعطوهم الكثير من المعلومات العسكرية، وأفهموهم المبادئ القتالية وكيفية تنفيذها عند الضرورة، وأعفى الفرسان النظاميين من التدريب، واعتمدوا على تقاليدهم الحربية؛ متبعين حرب المعارك الفردية والكمائن والمفاجآت[65].

إن الأمير عبد القادر ونظرا لدهائه العسكري وتنقلاته المتعددة في مواجهات القتال سموه "أبا ليلة وأبا نهار"، كما وصفته إحدى الصُحُفيات العالمية في مقال كتبته عن الثورة الجزائرية بقوله: "إنه يوجد في كل مكان، ولا يوجد في أي مكان"[66].

3.4 إستراتيجية الأمير الحربية في مقاطعة وهران كنموذج لحرب الكرّ والفرّ: لقد تبنّت المقاومة الوطنية في الشهور الأولى من الاحتلال خطة إستراتجية تمثلت في محاصرة المدن

الساحلية، ونفس الخطة تبناها الأمير عبد القادر، وبيّنت المعارك الأولى التي خاضها أن الخطة لن تكون مفيدة إلا إذا ارتكزت على دعامتين: مقاطعة العدو وتجنب التعامل معه، وكذلك التزام جميع سكان الأماكن القريبة بهذه المقاطعة[67].

لقد عمّت الفوضى كامل أنحاء إيّالة الجزائر، وانحصرت سلطة الأتراك في تلمسان ومستغانم وضواحيها، واستمرّ صراع القبائل حتى صرّح الجنرال بوايه (Boyer) قائد مقاطعة وهران بأنه غير قادر على حفظ الأمن، خاصة وأن قواته ينقصها المؤونة والعتاد[68].

شرع الأمير في اتباع الخطط الحربية التي تعتمد على عنصر المفاجأة أواخر سنة 1833، وعدم مواجهة الفرنسيين في الميدان المكشوف[69]، وبدأ نشاطه باستخدام أسلوب المباغتة في الهجوم بوحدات عسكرية صغيرة، وفي مواقع جد صعبة جغرافيا وتكتيكيا لإرباك العدو، وإرهاب ضباطه وجيوشه، واستهداف أكثر من موقع.

لقد رغب الأمير في قتال العدو، ولكن دون المواجهة المباشرة حفاظا على أسلحته وقواته غير المتجدّدة لربح المزيد من الوقت حتى ينظم ويجهز جيشا له صفات الجيوش المنظمة[70].

- كان الأمير عبد القادر لا يخوض المعارك إلا في أماكن يختارها مسبقا كالمضايق وأعالي المرتفعات، ويركز على المناوشات والمضايقات والهجمات الخاطفة، ويشرك القبائل الموالية له في محاصرة مدن العدو، ومضايقته بقطع المؤونة عنه[71].

في أوائل 1833 تقاسم حكم إقليم وهران قوتان؛ تمثلت الأولى في الجيش الفرنسي الذي سيطر على وهران ومستغانم والمرسى الكبير، أما الثانية فتمثلت في عدة قوى محلية سعت كل واحدة منها إلى تحقيق استقلال ذاتي وفق حدودها، وزعماء هذه القوى هم: سيدي العربي في سهل الشلف، وابن نونة في تلمسان، وسيدي أحمد بن طاهر في أرزيو، ومصطفى بن اسماعيل وابن أخيه المزاري في مستغانم، والشيخ العمري في الجنوب، وإبراهيم باي[72].

حاولت القبائل محاصرة قلعة فيليب الواقعة جنوب وهران عدة مرات لكن دون جدوى، حتى دخل المعركة الشيخ محي الدين بقيادة ابنه عبد القادر، وقرر تنفيذ عملية ضد هذه القلعة، ووضع خطة أشرف هو على تنفيذها؛ حيث قسّم جيشه إلى مشاة وفرسان، أما المشاة فطلب منهم التخندق، وكلفهم بمناوشة الحامية الفرنسية المدافعة عن

القلعة، وأما الفرسان فوضعهم على الطريق الرئيسي المؤدي للقلعة من أجل عزلها، ومنع أي تسلل للعدو[73]، وهنا يظهر التكتيك العسكري الذي انتهجه الأمير الذي يعتمد أساسا على المناوشات، وإرباك العدو تجنبا للمواجهة المباشرة كون الكثافة النارية لأسلحة الفرنسيين كبيرة حتى تتناسب تحركات عبد القادر الطبيعة الجيوستراتيجية للإقليم، ولخص نائبه أسس حرب الحركة في مقالة خاطب فيها القائد الفرنسي دي ميشال فقال: "إن العرب لا ينكرون قوة فرنسا وقدرتها، غير أننا لا نحاربكم محاربة نظام وترتيب، ولكن محاربة هجوم وإقدام، وإن خرجت كتائبكم وقواتكم نتقهقر أمامها متوغلين في الصحراء بأهلنا وأثقالنا، ولا نترك مجالا للقتال حتى ترجعوا، ثم نبقى على هذه الحال حتى تضعف شوكتكم وتلين قوتكم"[74].

كان من اللازم أولا أن تحرم وهران من أي اتصال أو إمداد أو مؤونة قادمة من الحاميات الفرنسية في أرزيو والمرسى الكبير، وكذا من جماعات الدواوير والزمالة التي التحقت بمعسكر الفرنسيين، وكان ضروريا مهاجمة المدينة من الداخل حتى تدرس حالة دفاع المدينة الذي أقامه الجنرال بوايي، ثم تنظم مناوشات دائمة تصل حتى أبوابها، وهكذا تكون الحامية التي تشغل المكان محصورة، ولا تقدر على التزوّد، وتعود أول محاولة لمهاجمة وهران إلى يوم 17 أفريل 1832 على بعد 4 كيلو مترات من المدنية؛ حيث باغت هذا الجيش الشعبي الصغير مفرزة فرنسية، وألحق بها هزيمة نكراء، وفيها أثبت الرجل استعداده العسكري وشجاعته الحربية[75].

إزاء هذا الوضع، استبدل الحاكم العام فوارول الجنرال بوايه بالجنرال دو ميشال، ووصل القائد الجديد وهران في 23 أفريل 1833 ليجد أن الأمير عبد القادر هو صاحب الحل النهائي؛ فقرّر محاربته ومواجهة القبائل التي تؤيده[76].

وجه الأمير دعوة لعقد اجتماع عام في مدينة معسكر يوم 18 ماي 1833؛ فاستجابت القبائل الكبرى في التل والصحراء لهذه الدعوة، ورحبت بها باستثناء قبائل المخزن التي تملص بعضها، واتخذ بعضها موقفا سلبيا، وفي ذلك الوقت انطلقت نحو وهران قبائل بني هاشم والغرابة للاشتباك مع القوات الفرنسية؛ فلحق بهم الأمير وقواته لنجدتهم ضد قوات دو ميشال.

كان أول ما قام به الأمير تقسيم قواته إلى قسمين: قسم وجهه لمواجهة القوات الفرنسية من الجناح الأيسر، وقسم قاده بنفسه للهجوم على الحصن الذي أقامه الجنرال الفرنسي بمنطقة الكرمة، حيث حاول الأمير وفرسانه تسلق السور لكنهم فشلوا بعد إحباط حامية الحصن المحاولة؛ فعاد بقواته ودعّم القسم الأول، موجها ضربات قوية ومباغتة حتى حلّ الظلام، وقرر دو ميشال سحب قواته ممزقة تحت حماية المدفعية[77].

لقد طبق الأمير وبشكل مباشر أحد تكتيكات حرب العصابات المتمثل في مهاجمة العدو في نقاط عدة وفي وقت واحد، ومركزا غير متوقع للعدو، وبمحاولة تسلله للحصن، ورغم أنها فشلت، كان قد مارس أسلوب المباغتة في حرب أدخل في جزئها تكتيك خرب العصابات.

إن تنظيمه لقوة من مائة فارس بعد هذه المواجهة وقيادته لها بنفسه من أجل نصب كمين في منطقة قرب وهران اعتادت القوات الفرنسية جعلها مراكز مراقبة متقدمة[78]، وبنجاحه في القضاء على سرية المراقبة، وأسر 30 من الأعداء كان قد أكمل استراتيجيته في حرب العصابات بوضعه لكمين مباغت ومدمر للعدو.

كان هجوم الفرنسيين على مدينة الغرابة المؤيدة للأمير دافعا لاسترداد ما أخذه الفرنسيون من القبيلة بقيادة وحدتين: الأولى من ألف جندي نظامي تحت إمرته، والثانية 10 آلاف فارس بقيادة البوحميدي، وتمركز قرب الغرابة على بعد ثمانية كيلومترات جنوبي عاصمة الإقليم الغربي، وبعد أن علم دو ميشال بمكان تمركز قوات الأمير؛ أمر النقيب كافينياك بترميم حصنه في أورليان لسد الطرقات، ومنع تقدم أحد، وفي صباح 27 ماي أرسل دو ميشال الجنرال سانست بكتيبة من سريتين: سرية صغيرة تبقى لحماية المكان، وسرية تهاجم مقاتلي الأمير، ولكنها تراجعت بعد أن أطلق عليها جيش الأمير النيران من كافة الجهات، وبعد يومين عاد الأمير وهاجم حصن أورليان.

لم يكن الأمير يقصد من هذه المجابهة طرد الفرنسيين، ولكن زعزعة ثقة العدو، وبث الرعب في صفوفه، وكسب ثقة رجاله وامتحانهم[79].

5- عبد الكريم الخطابي مُبدع في الحروب السريعة:

1.5 تقنية تنفيذ حرب العصابات عند محمد بن عبد الكريم الخطابي: برز محمد بن عبد الكريم الخطابي في العقد الثاني من القرن 20 كرجل انفرد عن رجالات عصره بكونه قادرا على قيادة جماهير قروية شحيحة الموارد بأسلوب لم يسبق له مثيل، وانتشر في العالم أجمع

على إثر إنجاز عسكري باهر لازال إلى اليوم يمثل تجربة عسكرية تدرس في الأكاديميات المختصة[80].

كان الخطابي أثناء زعامته العسكرية ثم السياسية يتمتع بحس قيادي فريد؛ فقد تمكن من حشد قبائل الريف المتناحرة، وأمر كبراءها بتنظيم رجال قبائلهم في سرايا مقاتلة[81].

لقد كانت ثورة الريف بقيادة الخطابي أحد أكبر الثورات العربية، وأكثرها تنظيما سياسيا وعسكريا واجتماعيا وثقافيا، وحققت نجاحات كبيرة، وأسست كيانا سياسيا مستقلا عن الإدارة الاستعمارية[82].

كما نلمس تأثير ابن عبد الكريم في المقاومة المسلحة التي قامت بها شعوب المغرب خلال السنوات الأخيرة في معركتها التحريرية، ومن المعلوم أن مضايقة العدو بالهجمات المباغتة بواسطة جماعات صغيرة من الجنود، واستغلال كل الإمكانات والتسهيلات التي تقدمها الأرض والتضاريس الجغرافية[83].

إن اعتماد محمد بن عبد الكريم الخطابي على استراتجية حرب العصابات كان نتيجة اقتناعه بأنها الأسلوب الأنجع لمواجهة جيش عصري منظم، وهو أسلوب يليق بالمجاهدين وبطبيعة الأرض، وهي الأقدر على الفتك بالعدو من أية حرب أخرى، وهذا لعدم توفر الأنظمة والأجهزة والأسلحة التي يتوفر عليها جيش العدو العصري المنظم[84].

وصف "هُو شي مِنْه" ابن عبد الكريم بأنه البطل الوطني المؤسس للحرب الشعبية، كما قال فانسان مونتاي: "حينما أشار إلى ابن عبد الكريم أنه المُطلِق الأول للحرب الشعبية، لأنه عرف كيف يستعمل معطيات الأرض والبيئة القبلية المشاركة، أي ما عبر عنه ماو تسي تونغ بصورة "السمك والماء"، وتكفى شهادة رئيس الحكومة الفرنسي أن "ليوطي" وجد نفسه وجها لوجه مع جيش من المشاة يثير الإعجاب- حيث يتحرك بسهولة في أرضها، ومنها تمارس الحرب، وهي شهادة مهمة تثبت بأن الريفيين لم يخوضوا حرب جيش محترف، وإنما هي حرب السكان أينما وجدوا أي حرب الشعب[85].

استعمل الخطابي الحركة الفائقة لفرق صغيرة الحجم، ولكنها متمكنة من استعمال تضاريس المكان لصالحها، وقد نبّه الكاتب دي فيغاس[86] على أن العبقرية العسكرية للمقاتل المغربي هي من إفرازات المكان الذي يجبره على إنجاز مهامه بحركية شديدة فيما

يسمى بأسلوب "الحروب الصغيرة"، ومن الممكن أن عبد الكريم قد امتاز عن أسلافه من المجاهدين المغاربة بتطوير الأساليب والمزج بين ما هو عسكري وما هو سياسي[87].

لقد ترك ابن عبد الكريم أثرا بالغا في نفوس معاصريه، وهذا ما تثبته شهادة النائب الفرنسي بيير زونوديل التي يقول فيها: "كانت لدينا مراكز وحصون شمال ورغة، وكان عدد كبير منها إن لم نقل كلها من قبل القبائل التي تسللت من خلال الخطوط التي كانت تتخطاها، وأصبح جنودنا الذين كانوا يحتلونها لا يستطيعون الانسحاب منها، لأن تجمع الريفيين أمكنه أن يتم وراء ظهورهم، وبلغ التكتيك الريفي أقصى حد من المهارة، وسنراها تتكرر أثناء كل العمليات، وتتلخص في اجتذاب فيالقنا، وانتظارها في أرض مهيأة، وحينما يكون كمينهم قد حقق الخطوة الأولى من النجاح يعمدون إلى الفرار ليتجنبوا ما يسميه العسكريون العقاب"، ويؤكد كارلتون كون ذلك بقوله: "كان باستطاعة عبد الكريم أن يحارب الفرنسيين في مدة لا نهاية لها لولا أن خصومه هاجموه بالطائرات والمصفحات"[88].

2.5 نموذج حرب العصابات في معركة أنوال: وقعت معركة أنوال في 21 جويلية 1921، وكانت رد فعل من الجنرال سلفستر إثر انهزامه في معركة ظهر أوبران لرد الاعتبار، وأمر بالهجوم على الريفيين أين تكبد هزيمة فادحة، وانسحب الى منطقة أنوال منتصف شهر جويلية؛ فهاجمه الأمير عبد الكريم الخطابي بجيش لا يتعدى خمسة ألاف رجل أين حاول سلفستر الانسحاب بجيشه المكون من 20 ألف مقاتل إلى مليلية؛ فهاجمه الريفيون وحاصروه[89].

اتبع محمد بن عبد الكريم الخطابي تنظيما عسكريا محنكا سُمي بأسلوب الدائرتين؛ وهو الأسلوب الذي تأثرت به بعض الثورات العالمية، وبخاصة الزعيم الفيتنامي هو شي منه الذي وصف الرجل بأنه من رواد الحرب الشعبية[90].

اعتمد الأمير محمد على حرب العصابات في مقاومته للإسبان حتى منتصف 1921 بطريقة غير نظامية[91]، وفي21 فيفري 1921 عقد مؤتمر في بني واریاغل بحضور محمد بن عبد الكريم أين تقرر اتخاذه أميرا للجهاد مع تغيير مركز المقاومة إلى الإقامة في قبيلة تلمسان[92].

عقدت القيادة الريفية سلسلة من الإجتماعات عقب احتلال مركز أغريبا، وتمّ فيها دراسة الحالة العربية، وتمّ وضع الخطط العسكرية والتنظيمية للقوات الريفية، وفيها بلغت

حركة المقاومة الريفية درجة كبيرة من القوة والتنظيم أثارت إعجاب الاستخبارات الإسبانية، واستطاعت القيادة الريفية بنشرها لقواتها المنظمة بين المراكز الإسبانية عرقلة مواصلاتها وإمداداتها[93].

عندما انتهى الريفيون من تجميع وتنظيم وتدريب رجالهم، وبعد أن تمّ ربط العلاقات بين القبائل الواقعة على الجوانب الممتددة على كامل الخطوط الإسبانية أسقطت أغربين (اغربيا)، وتلتها "أنوال" بعد غزو سيدي إبراهيم[94].

وعندما احتل الأسبان أغربين الواقعة على بعد خمسة أميال جنوبي أنوال، وتبعد أيضا أربعة أميال عن الماء، ولتتزود الحامية بالماء لا بد أن تمر عبر أرض متموجة وعرة من التربة الصخرية التي يجتازها أخدود عميق، استقر ابن عبد الكريم بقواته بين الهضبة وأنوال، وقام رجاله بحفر جحور ثعلبية وخنادق طولانية تفصل بينها مسافات مناسبة، وعلى مساحات واسعة بعضها تواجه أغربين، وبعضها تغطي ناحية أنوال، وكان رجال عبد الكريم من القبائل يخبرونه عن كل حركة يقوم بها الإسبان.

خرج الإسبان مع شروق الشمس من أنوال في ثلاثة أفواج، في كل فوج حوالي ألف رجل، وفي نفس الوقت أرسلت أغربين فصيلة أخرى، ولم يكن بإمكانهم رؤية الريفيين الكامنين في الخنادق، وبدأت المواجهة حين أخبر عبد الكريم أن الرصاص تساقط مثل المطر؛ فترنح الإسبان، وارتفعت جزية الموت؛ فاضطرت فصيلة أغربيا إلى التراجع، أما مركز أنوال فقد تكبد خسائر قدرت بـ132 قتيلا[95].

بدأ الصدام العسكري بين القوات الريفية والقوات الإسبانية المتمركزة في أبرا، والتي استطاع الريفيون تحريرها في 1جوان 1921، ثم توجهوا إلى مركز أغربيا وحاصروه من 17 إلى 20 جوان، ثم توجه جيش الأمير إلى أنوال في 21 جويلية 1921 بقوات لم تتعدى 5 آلاف رجل، ودامت المعركة خمسة أيام تمكن فيها الأمير من فرض السيطرة على أنوال[96].

أخرج فيها الأمير 500 بندقية من مخبئها، وتسلق حاملوها الأماكن المرتفعة في الجبال، واستقدم نصف رجاله من أبران، وأقام خطة ترمي إلى الاستيلاء على جميع حصون العدو المنتصبة فوق الهضاب المشرفة على الوادي، وهذا ما تحقق حيث استولى المجاهدون المتحالفون عليها واحدا بعد الآخر، وفي ظرف أسبوع هزمت كتيبة مقاتلة جيشا عصريا يبلغ تعداده أربعة عشر ألف جندي، وكان رأس جيش الأعداء سيلفستري الذي أراد احتلال

الحسيمة أين بقي في سيدي إدريس متمركزا، ما قدّم مهلة لابن عبد الكريم لإعادة تنظيم وإعداد جيشه للمرحلة القادمة[97].

بلغ قوام الجيش الإسباني بقيادة سيلفستري 24 ألف جندي تمكن من أن يصل بهم إلى جبل فعران قرب أجدير مسقط رأس الأمير، وعندها قام الخطابي بهجوم معاكس يوم 25 شوال 1339هـ/1 يوليو 1921، استطاع فيها هزيمة جيش الاحتلال، ومطاردتهم إلى مدينة مليلية، وكانت خطته أن يهجم الريفيون على الإسبان في آن واحد ومن كل الجهات حتى يصعب عليهم إغاثة بعضهم بعضا، ووزع عددا من رجاله على مناطق يمكن من خلالها مطاردة الفارين من الجنود الإسبان، واستدرج الإسبان إلى فخ محاط بتضاريس وعرة، فوجد الإسبان أنفسهم محاصرين، وتم قتل وأسر معظم الجيش الإسباني حيث خسروا في تلك المعركة 15 ألف قتيل و570 أسيرا، وهو نصر عظيم بالمقادير العسكرية التي يصعب تحقيقها من طرف الجيوش الكبرى النظامية، ولكن بأسلوب وخطة حرب العصابات التي استخدمها الأمير تمكن من خلالها الاستيلاء على 130 موقعا كان بيد الإسبان[98].

ففي برقية من الجنرال سلفستري إلى المقيم العام يقول فيها: "لا يمكنني أن أعبر لكم عن الحالة الخطيرة التي يوجد عليها مركز أنوال والمراكز المجاورة له، فالعدو يحيط بنا من كل جانب بقوة يتزايد عددها باستمرار، ولم يعد هذا المركز يتمكن من الإتصال بالمراكز الأخرى إلا بشق الأنفس؛ فعليكم أن تقوموا بنجدتنا فورا لأن الحالة تزداد خطورة ساعة بعد ساعة[99]".

تأخر سلفستري في الإنسحاب حيث طاف الريفيون ليلا بعد المعركة في ميدان القتال، يجمعون الطلقات والبنادق، وانقسموا إلى قوتين: محمد بن عبد الكريم بنصف رجاله طوقت قرية أنوال، بينما بقي نصفهم بقيادة أخيه في الجبال المحيطة بالممر، وما إن طلع الفجر حتى كانوا قد احتلوا المرتفعات المشرفة على الطريق، وأرسل ابن عبد الكريم رجالا أشداء إلى جانب آخر من أنوال إلى القرية؛ فتغلغلوا بين المنازل حاملين السكاكين والحراب يقتلون كل من يصادفونه من الإسبان في الظلام، وهذا ما سرّع في الانتصار، وعند انسحاب الإسبان انقضّ عليهم الريفيون من كلا الجانبين، ولاقى سلفستري مصرعه في تلك المعركة، مفندين الرواية الإسبانية التي قالت إنه هرب خجلا من العودة إلى إسبانيا، وتمّ الاستيلاء على حصني سيدي إدريس وإفران، وطرد الإسبان إلى مليلية[100].

لقد أثارت هزيمة الإسبان في معركة أنوال ردود فعل شديدة داخل إسبانيا، وطالب الرأي العام الإسباني بإجراء تحقيق حول الهزيمة، وتقديم المسؤولين عن الهزيمة إلى المحاكمة، وشكل البرلمان بالفعل لجنة لتحرّي ظروف الهزيمة، وأعدت تقريرا حول الموضوع لكن الحكومة رفضت نشره للرأي العام، وقيل إن التقرير كشف عن فضائح كبيرة[101].

خاتمة ونتائج الدراسة: نعتقد أن شدة إعجاب الثوار بالشخصية القيادية للأمير عبد القادر الجزائري جعله يتحكم وبشكل كبير في المردود القتالي للثوار، ومع تحكمه المطلق في تكتيك حرب العصابات كان من السهل أن يصل بمجموعة مقاتلين ذوي تكوين محدود إلى تحقيق النصر على كبرى الجيوش النظامية من خلال خفّة الحركة وعنصر المفاجأة المعتمد.

توفرت في محمد بن عبد الكريم العديد من الخصال السياسية والعسكرية التي مكنته من تصدر حراك الريف، وقد غيّر أمير الريف سياسته الداعمة للحماية بعد أن أصبحت السياسات الإسبانية أكثر عدوانية بعد 1912، وانتهج أسلوب حرب العصابات الذي ظهر واضحا في معاركه، وبخاصة معركة أنوال الشهيرة.

تميل حرب العصابات إلى استخدام الهجوم الصغير والقوة المتحركة في مقابل قوة كبيرة ثقيلة وصعبة، وتشنّ هجومها بعيدا عن مركز ثقل الخصم، وتلحق ضررا كبيرا؛ فيكون رده تدميريا وحشيا، ما أغضب أفراد القبائل الثائرة، وبالتالي زيادة الدعم المعنوي والبشري لقادة هكذا حروب؛ فيحقق النصر من جهة من خلال إلحاق أكبر ضرر بالمنشآت العسكرية للعدو، وكسب التأييد والدعم الشعبي للثورة.

اعترف الضباط الفرنسيون بوجود شعور قوي من الوعي الثوري والعقائدي بين الجزائريين، وقد اعتبر النقيب الفرنسي غوس أن هؤلاء الجزائريين لم يعودوا مجرد أهالي متخلفين، بل أصبحوا لا ينشدون إلا الحرية أو الشهادة في سبيل الله، بعد أن وجدوا قيادة فذة عرفت طرق التعامل معهم.

الهوامش:

1- مصطفى طلاس وأخرون- الاستراتيجية العسكرية- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق- 2011-ص14.

2- François Marcot - la Résistance et les Françis-Colloque international de Besançon 15-17 Juin 1995 - Université de Franche comté- Paris- p11...

3-Alexander Moseley- Aphilosophy of war- Alogora publishing-Washington- 2002-p13-14.

4- رياض تقي الدين- نافذة على الفكر العسكري- دار النهار للنشر- بيروت-1986- ص42...5-مصطفى الدباغ- المرجع في الحرب النفسية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الأردن- 1998- ص288....6- عميرة عبد الرحمان- الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام-الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 2006- ص31...7- محمود شيت خطاب- العسكرية العربية الإسلامية- كتاب الأمة للنشر- قطر -1981- ص22....8- عبد العزيز صقر- العلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- القاهرة-1996- ص55....9- خليل رجب حمدان الكبيسي- السلام الدولي في الإسلام: دراسة تأصيلية مقارنة- دار أمجد للنشر والتوزيع- عمان- 2017- ص142-144.....10- منير شفيق- الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب- الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت- 2008- ص35.....11-أحمد عبد الباقي- أقوى 25 حرب عسكرية- مركز الراية للنشر والإعلام- القاهرة - 2012-ص19.... 12- عبد الولي الشميري- الإستراتيجية العسكرية لعاصفة الصحراء- مطابع

ستار برس للطباعة والنشر- القاهرة- 1992- ص17..... 13- جوزيف هينروتين وآخرون- حرب واستراتيجية- تر أيمن منير- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- 2019- ص38. ... 14- منير شفيق- مرجع سابق- ص35.....15- علي زياد العلي- المرتكزات النظرية في السياسة الدولية- دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة- 2017- ص109.....16- منير شفيق- مرجع سابق- ص58... 17- عبد الولي الشميري- مصدر سابق- ص18.... 18- منير شفيق- مرجع سابق- ص71.... 19- صلاح حسن الربيعي- صباح نوري علوان العجيلي- استراتيجية حروب التحريرية الوطنية-مركز الكتاب الأكاديمي- الأردن- 2015- ص54.... 20- عودة يوسف سليمان الموسمي- جريمة استهداف اثارة الحرب الأهلية- المركز العربي للنشر والتوزيع- القاهرة- 2018- ص35-36..... 21- الهيثم الايوبي واخرون- الموسوعة العسكرية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- 1997- ص724- 773..... 22- العزي غسان- من أسباب نجاح المقاومة اللبنانية للاحتلال الإسرائيلي- مجلة الدفاع الوطني الجيش اللبناني- العدد 34- لبنان- 2000....

23-Walter liqueur- Guerrilla warfare ransaction publishers -london -2009 -p3.

24- أحمد حمروش- حرب العصابات- دار الكتاب العربي- القاهرة- 1967- ص6..... 25- منير شفيق- مرجع سابق- ص51-52..... 26- رياض تقي الدين- المرجع السابق- ص155.... 27- صلاح حسن الربيعي- صباح نوري علوان العجيلي- مرجع سابق- ص54.... 28-انصاري حمزة- حرب العصابات في لبنان- دار الفارابي- بيروت-1997- ص427- 428..... 29-تشي غيفارا- حرب الغوار- تر فؤاد أيوب- علي الطود- بيروت- ص9-10..... 30- أحمد حمروش- مرجع سابق- ص33.... 31- أدريان بالمر- مبادئ تسويق الخدمات- تر بهاء شاهين واخرون- مجموعة النيل العربية- القاهرة- ص793.... 32- رياض تقي الدين- مرجع سابق- ص93.... 33- ألان ستيفنز- نيكولا بيكر- منطق الحروب واستراتيجيات القرن الحادي والعشرين- تر أدهم وهيب مطر- دار رسلان- دمشق- 2017- ص117.... 34- هشام خضر- حرب العصابات "جيفارا- ماو تسي تونغ"- مركز الشرق للنشر والتوزيع-القاهرة- 2013- ص21-22.... 35- بهاء الدين النقشبندي- مباحث في الفقه المنسي فقه الأمة- دار المأمون للنشر والتوزيع- عمان- 2012- ص117.... 36- دحو فغرور- حرب العصابات دراسة للمفاهيم والممارسة- مجلة الذاكرة- 6- 2000- ص177-178....37- أوبري ديكنسون- أوتو هيلبرون- تر أكرم ديري- الهيثم الأيوبي- حرب العصابات السوفيتية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- 1979- ص19. ... 38- سون أتزو- مصدر سابق- ص26... 39- نسيم بهلول- حرب العصابات الجديدة من النظرية إلى التكتيك- ابن النديم للنشر والتوزيع-الجزائر- 2013- ص100-101.. . 40- نسيم بهلول- المرجع السابق- ص101..... 41- موشى ديان- مصدر سابق- ص35.... 42- نسيم بهلول- المرجع السابق- ص101.... 43- جون روبرت- تر إهاب كمال- حرب العصابات المقاومة بديلا عن الحرب- الحرية للنشر والتوزيع- القاهرة- ص253-255.... 44- موشى ديان- حرب العصابات الهجومية الدفاعية- مطبعة أكاديمية ناصر- فلسطين- 1967- ص36... 45- نسيم بهلول- المرجع السابق- ص101.... 46- رياض تقي الدين- مرجع سابق- ص88.... 47-أحمد حمروش- مرجع سابق- ص9....48- نسيم بهلول- المرجع السابق- ص101.... 49- موشى ديان- مصدر سابق- ص34---- 50- محمد خير الدين- مذكرات الشيخ محمد خير الدين- مطبعة دحلب- الجزائر- 1985- ص55---- 51- عبد الرحمان الجيلالي- حول سكة الأمير عبد القادر الجزائري- وزارة التربية الوطنية- الجزائر- 1966- ص7---- 52- علي محمد محمد الصلابي- الأمير عبد القادر- دار المعرفة- بيروت-2015- ص06....53- أديب حرب- التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري- دار الرائد للكتاب- الجزائر- 2005- ص11.... 54- غالي غربي- إبراهيم لونيسي- العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر- الجزائر- 2007- ص 164....55- محمد الطيب- مظاهر المقاومة الجزائية 1830/1954- منشورات وزارة المجاهدين- الجزائر- د ت - ص164.....56- سامية أبو عمران- الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة العسكرية الجزائرية- مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر-ع11- السداسي الأول- 2005- ص73.... 57- الحسين عماري- مجلة عصور الجديدة- ع 15/14- اكتوبر 2014- ص326....58- محمد علي داهش- المغرب العربي المعاصر - الدار العربية للموسوعات- بيروت- 2014- ص27....59- غالي غربي- ابراهيم لونيسي واخرون - مرجع سابق- ص169/165....60- سامية ابو عمران- مرجع سابق- ص77.... 61- محمد باشا ابن الامير عبد القادر- تحفة الزائر في ماثر الامير عبدالقادر واخبار الجزائر- دار الكتب العلمية- بيروت- ص19....

62- Ch-H-Churchill-Lavie d'Abd-el Kader-EDANER Alger-2009- P353.

63- رمز الكفاح الامير عبد القادر- جريدة المقاومة الجزائرية لسان حال جهة التحرير، العدد8-11مارس 1957- ص16.....64- الميراث الثمين أو هذا الشعب الخارق للعادة- جريدة المجاهد ،العدد 88-20جانفي 1961- ص9.....65-الصالحي بونحيل- المقاومة الوطنية الجزائرية من 1930-1945- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- دت- ص42-43.... 66- محمد العيد مطمر-جوانب من التنظيم العسكري في دولة الامير عبد القادر- أشغال الملتقى الثقافي الأول تقادمت عاصمة الدولة الجزائرية الحديثة- تيارت -مارس 1996 -ص49.....67- يحيى بوعزيز - مرجع سابق- ص 30..... 68- جمال قنان- دراسة في المقاومة والاستعمار- منشورات متحف الوطني المجاهد- الجزائر- 1996- ص45... 69-أديب حرب- مرجع سابق- ص79.....70- صالح العقاد- المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر- مكتبة الانجلو مصرية- القاهرة- 1993-ص100... 71-العربي

منور-تاريخ المقاومة الجزائرية-دار المعرفة-الجزائر-2006- ص150،151.... 72- عميراوي حميد- موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي- دار الهدى للطباعة والنشر-الجزائر- 2003-ص69....73- أديب حرب- مرجع سابق- ص92،93.... 74- بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري-الأمير عبد القادر-دار النفائس-الجزائر-2010- ص29... 75- المرجع نفسه- ص65... 76- قدور محمصاجي- شباب الأمير عبد القادر- تر مختار محمصاجي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 2007-ص226،229... 77- أديب حرب- مرجع سابق- ص99... 78- بسام العسلي- مرجع سابق- ص73... 79- بسام العسلي- المرجع نفسه- ص73... 80- أديب حرب - مرجع سابق- ص101-102---- 81- محمد العربي المساري- رجل طبع الوطنية المغربية في القرن العشرين- جريدة العالم الامازيغي- العدد151- مارس 2013- ص4....82- مركز الخطابي لدراسة الحروب الثورية- مرجع سابق- ص33.... 83- محمد داهش- دراسات في تاريخ المغرب المعاصر- مرجع سابق- ص33....84- محمد زنيبر- صفحات من الوطنية المغربية- دار النشر المغربية- الرباط-1990- ص15....85- محمد الوزاني- حياة وجهاد -مؤسسة حسن الوزاني-فاس-دت-ص37...86- محمد زنيبر- مرجع سابق- ص16....87- للمزيد انظر: كاتب وضابط اسباني- أحد كاتبي كتاب المغرب:العمل العسكري - يضم الكتاب دروس عن حرب الريف... 88- محمد العربي المساري- محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن- مرجع سابق- ص101،102.... 89- محمد زنيبر- مرجع سابق- ص15... 90 - اكرم بوجمعة- محمد عبد الكريم الخطابي ودوره في تحرير اقطار المغرب العربي- اطروحة لنيل درجة دكتوراه- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة ابي بكر بلقايد بتلمسان- (2017/2016)- ص168... 91- بلقاسم محمد- وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا الاتجاه الوحدوي في المغرب- المجلد2- البصائر الجديدة للنشر والتوزيع- الجزائر- 2013- ص673...92- شاكر محمود- التاريخ الاسلامي"التاريخ المعاصر بلاد المغرب- المكتب الاسلامي- بيروت- 1996- ص25---- 93- محمد علي داهش- دراسات في تاريخ المغرب المعاصر- المرجع السابق- ص129---- 94- محمد علي داهش- صفحات من الكفاح والجهاد المغربي ضد الاستعمار- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- 2002-ص108---- 95- عباش جرمان- أصول حرب الريف- ترجمة محمد الامين بزاز، عبد العزيز التمسماني- مطبعة النجاح- دار البيضاء- 1992- ص343.----96- فورنو روبرت- عبد الكريم أمير الريف- ترجمة فؤاد أيوب- دار دمشق- دمشق- دت- ص62---- 97- بوجمعة اكرم- مرجع سابق- ص53-54... 98- الوزاني محمد- المصدر السابق- ص53،54---- 99- محمود نجاة سليم- معجم المعارك التاريخية- دار زهران للنشر والتوزيع- عمان- 2011-ص65---- 100- اللويزي عبد الله- صورة المغرب في المتخيل الاسباني-دار الخليج للنشر والتوزيع- عمان -2018 - ص86---- 101- روبرت فورنو- مصدر سابق- ص65-66---- 102- حسين الدليمي محمد حمزة وعبد المجيد لبنى رياض- تاريخ العالم المعاصر- دار غيداء للنشر والتوزيع- عمان- 2015- ص250.